صَفَحاتٌ

من سِيرةِ الشَّيخِ

عبد الله بن حَسن النَّهاري

(النشرة الأولى - عيد الأضحى ١٤٤٤هـ)

جَمَعَها

د. هاني بن سالم بن مصلح الحارثي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه الطيِّبين، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله ﷺ بلغ الرسالة، وأدّى الأمانة، وجاهد في الله حق الجهاد حتى أتاه اليقين.

أما بعد:

فإنَّ الكتابة عن ورثة الأنبياء من العلماء العاملين، وكتابة سِيَرِهم ومُجريات حياتهم، وما قدَّموه لهذا الدِّين، ولنصرة سنة سيد المرسلين = لَمِن الأعمال الجليلة، ذات الأثر الجميل، الذي يبعث في النَّفس محبة التَّشبه بهم، والسَّير على هَديهم، لما في ذلك من إحياء ذكرهم، وبيان أثرهم، وقد نقل الحافظ شمس الدين السخاوي (ت: ٩٠٢هـ) في كتابه «الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ»، عن أبي العباس أحمد ابن الميورقي (ت: ٦٧٨هـ) أنه قال: «**من وَرَّخَ مؤمنًا فكأنَّما أحياه**»[(١)].

ومن هؤلاء العلماء الذين كان لهم أثر بالغ على كثير ممن اتَّصل بهم من طلاب العلم: **الشيخ الجليل عبد الله بن حسن النَّهاري** رحمه الله تعالى وغفر له، وقد مضى على وفاته اليوم أكثر من أحد عشر سنة، ولا يزال طلابه ومحبوه يتناقلون من جميل أخباره، ومحاسن آثاره ما يُبهِجُ النَّفس، ويُسرُّ الخاطر، ويبعث في نفوس طلابه ومحبيه ذكريات الدِّراسة والأنس في مجالسه.

ورأيتُ من باب الوفاء بحقِّه تقييدَ ما أعرفه عنه، وما بلغني من أخباره في ترجمة مختصرة، تُعرِّف ببعض خصاله، وتُذكِّر طلابه ومحبيه بحسن خلاله، ولئلا تذهب أخباره ومآثره أدراج

---

(١) ذكره السخاوي في «الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ»، وقد ذكره بعضهم كأثر عن النبي ﷺ ولا يثبت.

النِّسيان، ولتكون سببًا لينهض طلابه لجمع المزيد من أخباره وآثاره، كجمع آثاره المنثورة والمنظومة، التي ما زالت متفرِّقة بينهم، وييسر الله تعالى جمعها لتُطبَع ويعم نفعها لكاتبها وقارئها(١).

ولا يفوتني أنْ أشكر كلَّ من شجعني وأعانني من طلاب الشيخ ومحبيه على إتمام هذا العمل، وأخصُّ منهم شيخنا الوالد الكريم عباس بن محمد علي شرقاوي، وهو أوَّل من عرَّفني بالشيخ عبد الله النَّهاري رحمه الله سنة ١٤٢١هـ(٢)، وأخي الشيخ الفاضل محمد بن سالمين النهدي، وهو من طلاب الشيخ وخواصِّه، الذين لازموه واستفادوا منه، ثبَّته الله ووفَّقه، وأذكر هنا ما قاله المترجمون في حق الحافظ البيهقي رحمه الله وهي أنه: «**ما من شافعيٍّ إلا وللشافعي عليه مِنَّةٌ، إلا أحمد البيهقي فإن له على الشافعي مِنَّة**»(٣).

---

(١) للشيخ رحمه الله تعالى قصائد ومنظومات ما تزال متفرقة عند بعض محبيه لم أتوصل لها، ولعل هذه الترجمة تكون سببًا لجمعها لتُطبع، وتكون من العلم الذي يَنتفع به وهو في منازل الآخرة.

(٢) التقيتُ الشيخ عبد الله النَّهاري رحمه الله عدة مرات، وحضرتُ له بعض المجالس والكلمات، كما أني حججت معه مرة، ومما يؤسفني أنه لم تتيسر لي الدِّراسة عليه؛ لبُعد مسجده عن سكني، ثم لانتقالي للدراسة في الجامعة الإسلامية في المدينة النَّبوية، وقد استفدتُ هذه الترجمة من عدد من تلاميذ الشيخ ومحبيه، وهم أصحاب الفضيلة: فيصل، وأسامة، وفؤاد -أبناء العم سعود العمري- ومحمد النهدي، وعبد الله باوزير، وأبو عاصم باكوبن، ومحمد القحطاني أبو حسان، وعلي أبو زيدة، محمد بلغيث، وفهد الصبحي، ود.أحمد جيلان، وعلي بن عبد الله الحارثي، وأحمد بن عباس المساح، وغيرهم، وما زلت في طلب المزيد من أخباره، فمن تذكر شيئًا من ذلك فليفدني به مشكورًا.

(٣) ينظر: «تبيين كذب المفتري» لابن عساكر (ص٢٦٦)، وانظر في توثيق المقولة، وفوائد عنها في «السلسبيل النقي في تراجم شيوخ البيهقي» للمنصوري (ص٣٨).

=

وللشيخ محمد النهدي قدمُ صدق، ويدُ وفاء على طلاب ومحبي الشيخ عبد الله النَّهاري، فقد سجل مئات الدروس والمحاضرات التي ألقاها الشيخ رحمه الله، وهو الآن يعمل على نشر كثير منها، وأسأل الله تعالى أن يبارك جهوده، ويجزيه خير الجزاء، وأسأله تعالى أن يغفر لشيخنا عبدالله النَّهاري، وأن يتجاوز عنه، ويسكنه فسيح جناته.

وكتبه

هاني بن سالم بن مصلح الحارثي

ثالث شوال ١٤٤١هـ في مدينة جُدة[١]

(١) شرعتُ في جمع هذه المادة في وقت حجر وباء كورونا سنة ١٤٤١هـ، وعرضتُها على بعض المحبين من طلاب الشيخ، وأضفتُ إليها بعض الإضافات، وما زلتُ أتأخر رجاء الاطلاع على مكتبة الشيخ التي لم يتيسر لي الاطلاع عليها إلى الآن، والله المستعان.

اسمه ونسبه

هو الشيخ عبد الله بن حسن بن غالب النَّهاري[(١)]، وبيت النَّهاري في تَعِز من الأشراف الحُسينيين[(٢)]، ولم يكن الشيخ يُظهر ذلك تواضعًا وهضمًا لنفسه، ومن المعروف عنه أنه لا يحب الشُّهرة والظُّهور، ومن عجيب ما وقفتُ عليه أنَّ عادة عدم إظهار النَّهاريين لنسبهم قديمة في هذا البيت، ومن المكارم ما يتوارثه الأحفاد عن الأجداد[(٣)].

فما كان من خيرٍ أتوه فإنما ... توارثَهُ آباءُ آبائِهم قبلُ
وهل يُنبتُ الخِطِّيُّ إلا وشيجُهُ ... وتُغرَسُ إلا في مَنَابتِها النَّخْلُ

ونسبة النَّهاريين إلى آل البيت أمر لا مرية فيه ولا مواربة، ولم يُشكِّك فيه أحد معتبر، وقد شهد بصحة نسب الشيخ عبد الله رحمه الله بعض النَّسابين من اليمن، وكُتِبَ بذلك محضر صُودِقَ

---

(١) النَّهارية عائلة شهيرة في بلاد اليمن، والشيخ وعشيرته من سكان تَعِز، وبيت النَّهاري مُوزَّعون في بعض البلاد اليمنية، مثل: صنعاء، ووادي ضَهر، وتعز، وعُتمة، وجبال بُرع، ورَيْمَة، وغيرها، وقرب منطقة الجبِي محلة سُمِّيَت ببيت النَّهاري، أو رباط النَّهاري، وكذلك من قُرى بني مهدي بمديرية القناوص بقرب بلدة الداوودية قرية تُنسَب إليهم، وتسمى دَير النَّهاري، ومنهم مشاهير وأعيان ووجهاء في البلاد اليمنية.

(٢) تكلم عن نسب النَّهارية واتِّصالهم بالنَّسب النَّبوي جماعة، منهم: الشرجي في «طبقات الخواص» ص (٢٨٣)، والأهدل في كتابه «تحفة الزَّمن في تاريخ سادات اليمن» ص (٢٨٥- ٢٨٦)، والقاضي محمد الحجري في «مجموع بلدان اليمن وقبائلها» (٢/ ٧٤٥)، ولطف الله جحاف في «دُرَر نحور الحُور العِيْن» ص (٥٠)، وإسماعيل الوشلي في «نشر الثناء الحسن» ص (٢٢٤)، ومحمد بن محمد زبارة في «الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ» ص (٢٤٠)، وإبراهيم بن أحمد المقحفي في «معجم البلدان والقبائل اليمنية» ص (١٧٦٦)، وقائد محمد طربوش في «البجاد المفروش في أنساب تعز المنفوش» (٢/ ٢٧٧).

(٣) قال النَّاشري في «غُرَر الدُّرَر» ورقة (٦٧) وهو يتحدَّث عن موسى بن محمد بن علي النَّهاري: «وكانوا يُخفون نسبهم تواضعًا». نقله عنه بدر الدِّيْن الأهدل اليمني في كتابه «تحفة الزَّمن في تاريخ سادات اليمن» ص (٢٨٥- ٢٨٦)، وإخفاؤهم نسبهم جعل بعض الجهلة يطعن في نسب النَّهارية أول القرن الماضي، فانتصر لهم الشيخ محمد بن عبد الله الزَّوَّاك المتوفى سنة ١٣١١هـ، فكتب رسالة في صحة نسب النَّهارية، أوردها الوشلي في «نشر الثناء الحسن» ص (٢٢٤).

عليه من الجهات المعتبرة لديهم.

مولده ونشأته وطلبه للعلم

ولد الشيخ عبد الله في تَعِز من بلاد اليمن سنة ١٣٦٥هـ، كما هو مُدوَّنٌ في أوراقه الثُّبوتية، وقد نشأ الشيخ نشأة صالحة في كنف والديه، وكان والده من أسرة علمية تهتَّم بالعلم تحصيلًا وبذلًا، ونشأ في بيتٍ شافعي المذهب، فحفظ القرآن على يد والدته وهو في العاشرة من عمره، ثم قرأه مجوَّدًا على عمه .... مرتين، وأخذ عن والده الفقه واللغة، وعن أعمامه حسين وعبد الجليل الفقه وعلوم الآلة، كما أخذ عن بعض علماء زبيد، وحفظ كثيرًا من المتون كـ «الآجرومية»، و«ألفية ابن مالك»، و«عمدة الأحكام»، و«بلوغ المرام»، و«الزُّبَد في الفقه»، وغيرها من المتون، وبقي في طلب العلم والاستزادة منه إلى أن بلغ الحادية والعشرين من عمره، وقد كان لوالدته رحمها الله أبلغ الأثر في تربيته وتنشئته وشخصيته، فكانت كثيرًا ما تُوصيه بألَّا تغرَّه الدنيا.

ولم يتعلَّم الشيخ العقيدة إلَّا في المملكة العربية السعودية بعد انتقاله إليها، وحضوره بعض مجالس العلماء والاستماع لهم عبر إذاعة القرآن الكريم، وتأثَّر كثيرًا بالشيخ العلامة عبد الله بن محمد بن حميد رحمه الله، فقد استفاد منه كثيرًا من خلال الدروس واللقاءات التي كان يلقيها الشيخ ابن حميد في الإذاعة.

الانتقال للسعودية

جاء الشيخ إلى السعودية سنة ١٣٨٦هـ أو السنة التي بعدها لأداء مناسك الحج وطلب الرِّزق مع اثنين من أترابه، فاشتغل الشيخ بالعلم، وطاب له المقام وبقي في مدينة جدة، وكان رفيقاه يحثَّانه على العمل وترك التَّعلم، ولم يأخذ الشيخ بوصيتهم، ثم ظهر فضله وعلمه لبعض الناس؛ فطلبوا منه أن يكون لهم إمامًا يصلي بهم.

تولِّيه الإمامة والخطابة

تولى الشيخ – عندما انتقل إلى السعودية –إمامة وخطابة جامع عبد الله بن عفنان بحي الجامعة بمدينة جدة، وبقي فيه ما يُقارب على أربعين عامًا إمامًا وخطيبًا.

وكان الشيخ رحمه الله يخطب ارتجالًا، وكان أحيانًا يكتب خُطَبه ويقرأها، وكان يهتم بتسجيل الخطب والاستماع لها بعد ذلك، وهناك كثيرٌ من خطبه المسجلة، لعل الله ييسر لها مَن يتولَّى تفريغها وطباعتها؛ لتكون من العلم الذي ينتفع به الشيخ(١).

وكان الشيخ رحمه الله حريصًا على إمامة الجامع وإلقاء خطبة الجمعة، ولا يُعرف أنَّه غاب يومًا عن صلاة، وكان في رمضان يصلي بهم العشاء والتراويح، ولم يكن من عادته الإطالة في الصلاة، وبقي إمامًا لهذا الجامع إلى قُبيل وفاته بستٍّ سنوات أو سبع، ثم ترك الإمامة عند إعادة بناء المسجد، ولظروف أخرى، لكن كان له في قلوب جماعة المسجد منزلة ومكانة، وهيبة واحترام، وكانوا يزورونه في بيته لسؤاله أو مشاورته أو الاستفادة منه.

كما كان الشيخُ أولَ خطيبٍ للعيد في مُصلى مَيدان البيعة (القشلة) بجدة سنة ١٤٢٦هـ أو قبلها أو بعدها، سنة واحدة، وخَلَفه فيها تلميذه الشيخ فؤاد بن سعود العمري وبقي فيها سنوات.

تدريسه في المسجد

دَرَّس الشيخ سنواتٍ طويلة قاربت أو تجاوزت ٣٥ عامًا، وكان الشيخ رحمه الله متميِّزًا في تسهيل العبارة، وتيسير المسائل، بأسلوب شيِّق يأخذ بمجامع القلوب، وطريقة ممتعة، ويتعمَّد اختيار الكلمات السَّهلة التي يفهمها الجميع، ويبتعد عن التَّكلُّف والتقعُّر، مع أنه كان متمكِّنًا من علوم العربية، مع حسن بيان، وفصاحة لسان، ولذلك كان أغلب الحضور يجلسون مقبلين على استماع ما يُلقيه الشيخ بشغفٍ وشوقٍ.

---

(١) أفادني الأخ محمد النهدي أنَّ لديه الكثير من دروس وخطب الشيخ المسجلة.

وعُنِيَ الشيخ بتدريس النَّشء عنايةً خاصة، وكانت له طريقة في تحبيبهم للمسجد والدُّروس، وكان يُسهِّل عليهم الدِّراسة بطرق شتَّى، كالتَّأنِّي في التَّعليم، والإملاء والتَّكرار، وقد أخبرني الشيخ أسامة بن سعود العمري أنَّ الشيخ كان يُملِي عليهم يوميًّا أحاديث من «الجامع الصغير» ليحفظوها.

وكان يقضي غالب وقته في نفع الناس وتعليمهم القرآن، وتحسين التِّلاوة وأحكام التَّجويد، وتدريس المتون العلمية في: التَّفسير، والتَّوحيد، والفقه وأصوله، والفرائض، والسِّيرة النَّبويَّة، والنَّحو والبلاغة.

وكان رحمه الله ملتزمًا بهدي السَّلف الصَّالح في طريقة تدريس الاعتقاد، مجانبًا لطريقة الخلف، وما يناقض ما كان عليه الصَّدر الأول من أصحاب القرون المفضَّلة، وأكابر العلماء في الهَدْي والسَّمت وطُرُق التَّعليم، مع عنايته الشَّديدة بتدريس كتب التَّوحيد للناس، ودرَّسَ منها جملةً حسنةً زمنًا طويلًا، ويُكرِّر ذلك بين الفينة والأخرى.

وأما الفقه فقد دَرَسَ الشيخ في اليمن مذهب الإمام الشافعي كما تقدَّم، ومع ذلك كان يحرص على الأدلة في فتاويه ودروسه، ويرجع في الغالب لترجيح ما كانت عليه الفتوى كترجيحات الشيخين ابن باز وابن عثيمين رحمهما الله، كما تُنبِئُ عن ذلك دروسه وفتاويه، مع حرصه الشَّديد على كتب الشيخ الألباني رحمه الله، ولا يكاد يفوِّت طبعة من كتبه.

ومما عُرِفَ عن الشيخ رحمه الله حبُّه للغة العربية، وتمكُّنه منها، وحرصه على تعليمها، وكان في بعض الأحيان يملي على طلابه «مثلث قطرب» ليعوِّدهم على حفظ المعاني، وتنوُّع الألفاظ والكلمات.

وقد درَّس الشيخ رحمه الله عددًا من المتون العلمية، والكتب الشهيرة، وفيما يلي ذكرٌ لأبرز ما درَّسه من تلك الكتب:

- **في تجويد القرآن:** كان يدرِّس «القاعدة البغدادية»، و«تحفة الأطفال»، و«الجزرية»،

و«الملخص المفيد في علم التجويد» لمحمد أحمد معبد، مع عقد مجالس لتصحيح التِّلاوة.

- **وفي التَّفسير:** كان يدرِّس «تفسير ابن كثير»، و«تفسير السِّعدي»، وربما ألقى هو في تفسير بعض السور والآيات.

- **وفي الحديث:** كان يدرِّس «الأربعين النَّووية»، و«عمدة الأحكام»، و«بلوغ المرام» مع شرح الشيخ عبد الله البسام «توضيح الأحكام»، و«صحيح الجامع الصغير وزياداته»، و «نيل الأوطار» للشوكاني.

- **وفي العقيدة والتَّوحيد:** كان يُدرِّس «ثلاثة الأصول»، و«كشف الشُّبهات»، و«كتاب التَّوحيد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب، و«لمعة الاعتقاد» لابن قدامة، و«العقيدة الواسطية» لابن تيمية، و«فتح المجيد» لعبد الرحمن بن حسن، و«السُّنَّة» للإمام أحمد، و«عَقيدة الرازيين»، و«السُّنَّة» للمروزي، و«شرح السُّنَّة» للبربهاري.

- **وفي المصطلح:** كان يدرِّس «البيقونية»، و«نُخبَة الفِكَر».

- **وفي الفقه:** كان يُدرِّس «آداب المشي للصلاة» للشيخ محمد بن عبد الوهاب، و«عمدة الفقه» لابن قُدامة، و«الرَّوضة النَّدية» لصديق حسن خان، و«منهج السَّالكين» لابن سِعدي، و«منار السَّبيل» لابن ضويان، و«الملخص الفقهي» للفوزان، و«الموسوعة الفقهية الميسرة» لحسين العوايشة[1].

- **وفي أصول الفقه وقواعده:** كان يُدرِّس «منظومة القواعد الفقهية» لابن سِعدي، و«الأصول من علم الأصول» لابن عثيمين.

- **وفي النَّحو:** كان يُدرِّس «الآجرومية» مع شرحها «التُّحفة السَّنيَّة»، و«متمِّمَتها»، و«ملحة الإعراب»، و«ألفية ابن مالك» مع «شرح ابن عقيل».

---

(١) عندما كانت تُطبَع في أجزاء صغيرة، وكان الشيخ يحرص عليها لحسن تبويبها، وذكره لاختيارات الشيخ الألباني.

- **وفي اللغة:** كان يُدرِّس «مثلث قطرب»، وبعض المعلقات السَّبع.

- **وفي السُّلوك:** كان يُدرِّس «حلية طالب العلم» للشيخ بكر أبو زيد، و«تذكرة السَّامع والمُتكلِّم» لابن جماعة، و«أخلاق العلماء» للآجري، و«صحيح الأدب المفرد».

كما كان رحمه الله يمتاز بحفظه للسِّيرة النَّبويَّة، فلا يخلو درس توحيدٍ أو فقهٍ إلَّا وذكر طرفًا من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم بما يوافق المقام ويشحذ الهمم، فقد كان الشيخ بارعاً في سرد السيرة ومجرياتها وأحوالها وكانت لا تمر به فرصة إلا ويعرج عليها في دروسه ليستفيد منها الحاضرون.

وكان أكثر حرص الشيخ على الكتب المذكورة أعلاه لسهولتها ويُسرِها، ولم يكن للشيخ إقراء لكتب المطوَّلات كـ«المغني» لابن قُدَامة، و«المنهاج» لابن تيمية، و«فتح الباري» لابن حجر وغيرها من المطوَّلات؛ لأنَّ أغلب الطُّلاب كانوا في طبقة المتوسطين ودون ذلك، ولحرص الشيخ على تنشئتهم على أصول العلم التي تفتح لهم الطريق وتعينهم على سلوكه.

*** وكانت له طريقة حسنة في تدريس الفقه، فكان يجعل درس الفقه في مرحلتين:**

- الأولى: لصغار الطَّلبة.

وكانوا يدرسون كتب الفقه المختصرة كـ«منهج السالكين» لابن سِعدي، ثم «عمدة الفقه» لابن قُدامة ثم يترقون لغيرها.

- الثانية: للكبار.

وكانوا يدرسون الفقه من إملاء الشيخ رحمه الله، فيذكر لهم المسألة، والأقوال فيها من المذاهب الأربعة وغيرها، وأدلة كلِّ مذهب، ثُمَّ يُرجِّح بموجب الدَّليل من الكتاب السُّنَّة وفقه الصحابة، وكانت غالب ترجيحاته لا تخرج عن ترجيحات ما عليه الفتوى والعمل، كترجيحات الشيخين ابن باز وابن عثيمين، وكان مقصده من هذه الطريقة تعليم الطلاب على أدب الخلاف وكيف يخرج الطالب بالراجح دون أن يكون منه سوء أدب مع أهل العلم.

نصائحه لطلابه

كان كثيرًا ما يُوصِي طلابه بالحرص على طلب العلم، والاجتهاد فيه، ويضرب لهم الأمثلة على ذلك، ويُهيِّئهم للصَّبر على شدائده في أول أيام الطلب، وأنه يلين لهم مع الزمن كما يلين العصيد في يد صانعه بعد أن كان صعبًا أول أمره.

وكان يكره لهم الدُّخول في مخالفة كبار العلماء، أو التَّقليل من شأنهم، ويُنكِر عليهم ذلك، ويُحذِّرهم من الدُّخول في الفتن التي عصفت بالشباب إبان أزمة الخليج، وما لحقها من توابع، وينهاهم عن الدُّخول في المهاترات والقيل والقال، ويُوصِيهم بالاشتغال بالعلم، ولزوم هدي أهل العلم، والحرص على فتاويهم، والبعد عن مخالفتهم.

وأحسَّ في عام ١٤٢٢ هـ بانصراف بعض الطلاب إلى تعلُّم المنهي عنه من علم المنطق وعلم الكلام، فكان ينهى عن ذلك، ويحذِّر منه، ويقول رحمه الله: «علمُ الكلام لا يتعلَّمه أحدٌ إلَّا أصابته الوساوس والشُّكوك».

وكان رحمه الله مُربِّيًا مُشفقًا، يحرص على التَّنشِئة الصَّالحة، وبناء الشَّخصية المُصلحة، وصناعة الرجال الذين يحملون همَّ العلم والتَّعليم، فكان مثلًا يُعلِّم طلابَه الخطابة في غرفته الخاصَّة من المسجد، ويختار أحدَهم ليقوم بإعداد خطبةٍ، ثم يخطبُ بها على مَن حضر، ثم يُقَوِّمُهم بعد ذلك، ويُبيِّن لهم ما ينبغي عليهم فعله، وذات مرة جمع بعض طلابه ليعلمهم الخطابة، ووضع لهم أسطوانة (برميلًا) ليصعدوا عليه في أثناء الخطبة، وبعد أن فرغوا قال لهم: «إن يَسَّر الله لكم وأصبحتم خطباء، وأُعجِبتُم بأنفسكم؛ فتذكَّروا أنَّكم تعلمتُم الخطابة على أسطوانة (برميل) لتتواضعوا».

أوقات دروسه

كانت دروس الشيخ دروسًا عامة في المسجد لعموم الناس، ودروسًا خاصة بطلبة العلم، منها ما يبدأه الشيخ من نفسه، وشيء يُطلَب منه من قِبَل الطلاب وغيرهم.

منها: درسٌ بعد الفجر لكبار السِّن من جماعة المسجد، يقرءون فيها القرآن؛ ليصححوا التَّلاوة على الشيخ، وربما قرأ نصف صفحة وجعلهم يُكرِّرون القراءة، وقد بدأ بهم من الفاتحة حتى ختم بهم القرآن بهذه الطَّريقة مرة أو أكثر.

ومنها: دروس بعد صلاة العصر والمغرب لطلاب حلقات التَّحفيظ في المرحلة الثانوية والمتوسطة والابتدائية.

ومنها: الدَّرس العام بعد صلاة العصر والعشاء، فقد كان من عادته اليومية التي لم يتخلف عنها يوماً واحداً أن يُلقي بعد صلاة العصر كلمة قصيرة يُفسِّرُ آيةً من كتاب الله، أو يشرحُ حديثاً، أو ينقل لهم فتوى في مسألة نازلة أو حادثة.

وكان من تفنُّنه رحمه الله في التَّعليم أنْ يُقسِّم الدَّرسَ وينوِّعه؛ ليكون أدعى للفهم وأقرب إلى الاستحضار، فيقول مثلًا: فائدة في العقيدة...، اسم الصحابي...، فائدة فقهية...، فائدة لغوية...، وهكذا.

وكان الطلاب يأتونه ليقرأوا عليه في غرفته الخاصة من المسجد، فيقرأون عليه بين الأذان والإقامة في صلاة الظهر والعصر والعشاء، أو بعد العشاء.

وكان يفرح بالسَّائل والزَّائر في أي وقت يأتيه، ويعطيه بُغيَته من استفتاء أو استشارة، وربما طرق عليه طارقٌ وهو نائم، فيُوقظه أهله لعلمهم بمحبته لذلك، ويستقبله بصدر رحب مسرور.

وكان أحيانًا إذا رأى حاجة السَّائل تستدعي أن يكتب له، كتب له الجواب أو بعضه أو دليله من القرآن أو السُّنَّة ليُعِينَه على حفظه والرجوع له.

كما كان يتحيَّن المناسبات الشَّرعية للتَّعليم ليعلِّم الناسَ ما ينبغي لهم فيها، ويَحُثُّهم على المسابقة في الخيرات والطَّاعات، فيُلقي الكلمات والخطب عنها، كالمسائل التي تستجدُّ في الناس ويكون فيها مخالفات عقدية، فيُعلِّمُهم العقيدة الصحيحة، وما ينبغي في ذلك، أو المسائل المتعلِّقة

بالصلاة والحرص عليها، وفضل النَّوافل، وحثّ الناس عليها.

ويحث على التَّصدُّق على الفقراء، وأداء الزكاة، ويستغل كل موسم في تعليم الناس فضله وأحكامه وآدابه، كشهر رمضان والحج وشهر الله الحرام وغيرها من مواسم العام.

وكان يجلس أغلب أوقاته في المسجد في غرفته الخاصة في قبلته، بين مصحفه وكتبه الخاصة، ويخلو فيها بنفسه، يراجع محفوظاته، ويقرأ القرآن وكتب العلم، ويذكر الله فيها، ويُحضِّر لدروسه، وكأنَّها دوحة وارفة، وبستان مُزهِر.

التَّدريس في مدرسة

سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز بجدة

مدرسة الشيخ ابن باز – أو المدرسة البازية – بحي النزلة مؤسسة تعليمية خيرية غير ربحية، أنشأها الشيخ زبن الله بن عبدالله أبو زيدة رحمه الله ، وكان مديرًا لها، وهي مؤسسة معتمدة ومصرحٌ لها من قبل الجهات الرَّسمية، تحت إشراف المؤسسة الخيرية لصاحب السُّمو الملكي الأمير عبدالله بن سعود بن عبد العزيز رحمه الله، وبإشراف من صاحبة السمو الملكي الأميرة نايفة بنت سعود، وكانت للبنين والبنات، وقد دَرَّس الشيخ فيها مدة عندما افتُتِحت الموادَّ الشَّرعية، وموادَّ التَّربية الإسلامية لطلاب المرحلة المتوسطة والثانوية، دَرَّس الفقه والتفسير والحديث والفرائض، وكان يلخص لهم من الرحبية ما يحتاجونه وغيرها من الكتب.

وكان الشيخ حسن التَّعامل مع الطلاب، متفنِّنًا في تعليمهم وتيسير العلم لهم، كما كان حسن التَّعامل مع زملائه رغم أنَّ كثيرًا منها يصغرونه سِنًّا، إلَّا أنَّه كان يتعامل معهم تعامل الزميل المُحبِّ المُشْفق؛ لذا كان محبوبًا من جميع الطلاب والمعلمين.

وقد دَرَس على الشيخ فيه طلابٌ من جنسياتٍ متعدِّدة، وأصبح له طلاب في عدد من البلدان ممن دَرَسَ في هذه المدرسة، حتى قام بعض الطلاب بجمع مبلغ، وحفروا به بئرًا وأوقفوه

باسم الشيخ عبد الله النَّهاري، والشيخ زبن الله أبو زيدة رجاء أن يعود أجره لهما[١].

عنايته بالكتب والقراءة وحفظ العلم

كان الشيخ رحمه الله حريصًا على اقتناء المفيد من الكتب، ومن كتب المعاصرين كان يحرص على كتب ابن باز وابن عثيمين والألباني.

وكان رحمه الله شديد الاستحضار لأحاديث «صحيح الجامع وزياداته» برواتها ومن خَرَّجها حتى لكأنه يحفظها عن ظهر قلب، مع حفظه في صغره لأصول المتون العلمية التي تقدمت الإشارة إليها.

وقد عُرِفَ رحمه الله بجلوسه في غرفته بمسجده السَّاعات الطِّوال بين كتبه، يقرأ ويجمع، ويدرس ويُراجع، ويُحضِّر لدروسه وخطبه.

المشاركات الدَّعوية في غير مسجده

كان للشيخ رحمه الله مشاركات في إلقاء الكلمات في المساجد في محافظة جُدة إذا طُلب من قِبل طلابه أو غيرهم، وكان من حرصه على نفع الناس عند إجابة دعواتهم أن يكون نفعه:

- بإلقاء كلمة يُرشِدهم فيها إلى ما يهمهم من المسائل العلمية، أو القضايا الاجتماعية، وغير ذلك.

- وربما أقام مسابقة في سؤال وجواب عما يهمُّ من مسائل أصول الدِّين، وفرائض العبادات، وما ينبغي على المسلم معرفته، لا سيما إذا كان الحضور من عامة الناس، كالسؤال عن أركان الصلاة، وأسماء مشاهير الصحابة كالخلفاء الراشدين، ويُهدِيهم ما يوفره من الجوائز مع قلة ذات يده.

- وربما أتاح للحضور إلقاء الأسئلة ليجيب عليها حسب ما يقتضيه الحال والمناسبة.

- واهتبال المناسبات واللقاءات في التذكير والإرشاد بما يقتضيه الحال، فإن كان في مجلس عقد

---

(١) أفاده الأخ إسماعيل عمر من تشاد، وهو أحد طلاب الشيخ.

قِرَان تحدَّث عن حُسن العِشرة، وما ينبغي أن يكون بين الزَّوجين، وإن كان في مجلساً أخوي تحدَّث عن فضل الأخوة وحقوقها، وقل أن يخلو مجلس عن فتح مجال الأسئلة والإجابة عليها، وتنشيط أذهان الطلاب بالمسائل العلمية.

العلاقات الاجتماعية مع الناس عمومًا ومع طلابه

كان الشيخ رحمه الله غاية في التَّواضع في حاله ولباسه، وحُسن العشرة، والمخالطة بالمعروف، مع الأدب التَّامِّ، وطلاقة الوجه، والابتسامة التي لا تُفارِق مُحيَّاه، راغبًا عن الشُّهرة والظُّهور، وتميَّز رحمه الله بالحِلْم وسَعة الصَّدر، ولين العريكة، فلا غرو أن كَثُرَ مُحبُّوه، وأَنِسَ به مجالسوه.

وكان رحمه الله محبًّا للخير لجميع مَنْ عَرف ومن لم يعرف، ناصحًا لهم، متلطِّفًا بهم، شفيقًا عليهم، لا سيما طلابه؛ فقد كان يتفقدهم، ويسأل عن أحوالهم، ويعود مريضهم، ويجيب داعيهم في فرح أو ترح.

وكانت علاقته رحمه الله بالناس من أحسن ما يكون، فقد كان يجيب دعوة كُلَّ من دعاه من جيرانه وجماعة مسجده وطلابه حين يُدعَى لمناسبة خاصَّة أو عامَّة، وكان بعض جيرانه يقصدونه في كثير من قضايا إصلاح ذات البَيْن.

وكان من حُلو عشرته وبُعد نظره ومحبته الخير للناس تحبيب الآباء وأبنائهم للمسجد، فكلما رأى غلامًا مع أبيه في المسجد قصده وبدأه بالسلام، وباسطه ولاطفه، وعَظَّم من شأنه، وأعطاه الحلوى، فأصبح كثيرٌ من أهالي الحي يحبون المسجد والمكث فيه، إما لصلاة، أو حلقة تحفيظ، أو درس، أو مجلس إفتاء للشيخ.

وكان من نصح الشيخ لطلابه أن يرشدهم بعد انتهائهم من المرحلة الثانوية إلى إكمال تعليمهم، ويحثَّهم على الدِّراسة في الجامعة الإسلامية بالمدينة النَّبويَّة إذا أمكنهم ذلك.

وكان الشيخ رحمه الله سهلًا في تعاملاته مع النَّاس، ومع طلابه، وأبعد ما يكون عن التَّكلُّف، ويُمازِحهم ويُداعبهم ويُضاحكهم في حدود الآداب المرعية، ويشاركهم أفراحهم وأتراحهم، ويُخبرهم بما يَسرُّه ويُفرِحه، فقد أخبرهم ذات مرة في أحد دروسه بأنه وُلِدَ له ولد، وسمَّاه (حسن) على اسم والده.

وكان الشيخ رحمه الله مالكًا لزمام نفسه، بعيدًا عن الغضب والعبوس والانزعاج، مع ما يعتريه من ابتلاءات وصعوبات في الحياة، وترادفت كلماتُ عدد من خاصة طلابه وملازميه سنين عديدة أنَّهم لم يروه قطُّ غاضبًا غضبًا يخرجه عما ينبغي أن يكون عليه مثله.

وكان رحمه الله يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ففي يومٍ من الأيام كان بجوار مسجده عزاء، وقعت فيه بعض المحدثات والمخالفات، فقام الشيخ بعد صلاة إحدى العشاءين، وقد حضر غالب المُعزِّين للمسجد، فألقى كلمة بيَّن فيها حكم المحدثات والمخالفات التي وقعت في ذلك العزاء، ونقل كلام العلماء في ذلك بلطفٍ ودون تعنيف أو تقريع.

ومما قوَّى الروابط بين الشيخ ومعارفه ومحبيه: سماحة نفسه، وسعة صدره، وحبُّه للطُّرفة والملاطفة، وأخذ العامة باللتي هي أحسن، وعدم تعنيفهم، ومن طرائف المواقف التي حصلت له أن أحد السائلين حلف أمامه بالنبي ﷺ، فقال له الشيخ: لا يجوز الحلف بالنبي ﷺ، فقال الرجل: والنبي ما يجوز؟ فضحك الشيخ وعلمه الصواب.

وكان يحرص على الشأن الاجتماعي في الحي، ويتفقَّد أهل الحي وطلابه، ويسأل عن أحوالهم وأحوال أسرهم، ويساهم في حصر أسماء الأسر المحتاجة والمتعففة بالتَّنسيق مع الجهات الخيرية المسؤولة، ويصلهم بالمُؤَن والزَّكوات التي تصله عبرهم وعبر المحسنين الذين وثقوا في دينه وأمانته، وكان الشيخ رحمه الله يتولَّى ذلك بنفسه ولو أجهده، حرصًا على أداء الأمانة والقيام بالسُّنَّة، مع مزيد عنايته بالأيتام، والاهتمام بهم، وقد كان بيته معروفًا مفتوحًا لزواره ومحبيه، يقصدونه للقاء به والسلام عليه، أو لمشورة، أو فتوى، أو إصلاح.

وذُكر للشيخ عائلة حبشية من جيرانهم كان والدهم قد توفي وابنته تحسن استخدام الحاسب وتريده للدراسة ولتعمل عليه بالأجر لتُعيل عائلتها، فاستدان الشيخ واشترى لها كمبيوتر وطابعة ولوازم ذلك وسلمه لهم ليعينهم على مصارف الحياة.

في رمضان

كان الشيخ في رمضان يمكث غالب يومه في المسجد، ولا يفارقه إلَّا للنوم فقط، وربَّما نام في المسجد، وكان يُدرِّس ما يتعلَّق بأحكام الصيام ومسائله، وكثيرًا ما يجلس للناس ليجيب على أسئلتهم واستفساراتهم بنفسٍ منشرحةٍ، وروح مبتهجة.

التَّوعية في الحج

كان حِرْصُ الشيخ رحمه الله على تعليم الناس ومحبة الخير لهم منقطعَ النَّظير، وكان يغتنم موسم الحج للدعوة والإرشاد والتَّعليم والوعظ. ومناسك الحج والتَّنظيم الدَّعوي فيه قديمًا لم تكن كما هي عليه اليوم من حسن تنظيم وترتيب، فكان الشيخ في حجه قديمًا يحرص على أخذ مكبر الصوت معه في الحج؛ ليكون الانتفاع أكبر، ولحثِّ الناس وتعليمهم، والتَّلبية بينهم، وكان يتنقل بين المشاعر في أحيان كثيرة مشيًا على الأقدام بين الحجاج، ينصح لهم، ويرشدهم لما ينبغي أن يفعلوه من مناسك، مع الإجابة على أسئلتهم، كلُّ ذلك بلا كلل ولا ملل، ولم يزل على حرصه على التَّعليم والإرشاد في الحج حتى بعد التَّنظيم الدَّعوي الذي تشرف عليه الجهات المسؤولة.

ومن عرف الشيخ في الحج أيقن أنه لم يكن يتحرك فيه ببدنه فحسب، وأنه كان له سائق يحدوه، ودافع يدفعه، ألا وهو ما استقر في نفسه من عِظَم تحمُّلِ مسؤولية الدَّعوة إلى الله تعالى في هذه المواسم العظيمة.

علاقته بالعلماء وتعظيمه لهم

كان الشيخ رحمه الله مُعظِّمًا للعلماء متقدِّميهم ومعاصريهم، وكانت للشيخين ابن باز وابن عثيمين منزلة خاصة من نفسه، وكان يُعلِّمُ طلابه على الفتوى بما عليه العمل، ويحرص على الإفتاء بفتاوى الرَّاسخين من العلماء، لا سيما فيما جدَّ من المسائل والنَّوازل، بل ربَّما أنشأ كلمة على فتوى سمعها من الشيخ ابن باز، فأحب أن ينشرها في الناس؛ ليتعلموا منها، ويعملوا بها، مع حرصه على نشر كتبهم، ككتاب الشيخ ابن باز رحمه الله في مناسك الحج وغيره.

وراجت بين الطلاب بعض المسائل الخلافية، والمتنازع فيها، وأدَّى بعضها إلى شقاق وخلاف، فكان الشيخ يحب أن يفيء فيها الطلاب إلى ما عليه الفتوى والعمل، خاصة ما كان يفتي به الشيخ ابن باز رحمه الله، وغيره من الراسخين في العلم.

كما كان رحمه الله على علاقة طيبة بعدد من أهل العلم، كأمثال الشيخ محمد بن عبدالوهاب البنا رحمه الله، والشيخ الدكتور يوسف بن محمد الدخيل رحمه الله، والشيخ الدكتور ربيع بن هادي المدخلي، والشيخ عبيد بن عبدالله الجابري رحمه الله، والشيخ الدكتور صالح بن سعد السحيمي، والشيخ الدكتور محمد بن عبدالوهاب العقيل، والشيخ الدكتور علي بن غازي التويجري، والشيخ الدكتور عبدالرزاق بن عبدالمحسن العباد، والشيخ عمر الحركان وغيرهم يلتقي بهم، ويأنسون به ويأنس بهم، وكانوا يوصون بالتتلمذ عليه، والاستفادة منه.

وقد خطب الشيخ رحمه الله إحدى المرات في جامع الأميرة حصة بحيِّ الجامعة بمدينة جدة بحضور الشيخ العلامة عبدالله بن غديان رحمه الله – عضو هيئة كبار العلماء –، في أيام وجوده في مدينة جدة لشرح كتاب «مقدمة التَّفسير» لابن تيمية، و«منظومة القواعد الفقهية» لابن سِعدي ضمن برنامج علمي في نفس الجامع المذكور، وكان له لقاء مفتوح بعد صلاة الجمعة، وعندما التقا الشيخان ببعضهما بعضًا أثنى الشيخ عبدالله الغديان على خطبة الشيخ النَّهاري لسهولتها ووضوح عبارته فيها، وما حملته من المعاني، وأنَّه ينبغي على الخطباء أن يكونوا على هذا

النَّحو، وحثه على نشر خطبه[١].

تراث الشيخ

حاولت جاهدًا الاطلاع على مكتبة الشيخ رحمه الله، ولكن لم يتيسر لي ذلك؛ لبعض الظروف المحيطة بأبناء الشيخ وتنقلاتهم، ومما بلغني خبره أن للشيخ «حاشية على كتاب الجامع الصغير وزياداته»، كان يعلقها عليه في أثناء دروسه، فقد كان للكتاب مكانة خاصة عند الشيخ رحمه الله، فكان يحفظ أحاديثه برواته من الصحابة، وكانت له تعليقات عليه بخط يده، كلما انتهى من كتاب أو باب ألحق الأوراق مكانها، ولعل له أشياء أخرى كتبها أو حشَّى بها على كتبه من التَّعليقات، فقد كان يهتم بالتَّعليق والإفادة على كتبه.

وقد تفضل الشيخ عبد الله باوزير بسؤال ذوي الشيخ إن وجدوا شيئًا من مكتوباته؟ فأفادوا أنَّهم لم يجدوا إلَّا الكتب.

ويحتاج فحصها لطالب علم يجردها ويُقلِّبُها؛ ليكتشف ما في بطونها، لا سيما أن من عادة الشيخ تدوين الفوائد والتعليقات على كتبه.

وله تراث مسموع كبير من الخطب والدروس والمحاضرات التي بلغت المئات، ويوجد كثير منها لدى الشيخ محمد بن سالمين النهدي، الذي عُرِفَ بملازمة الشيخ، وتسجيل الكثير من خطبه ودروسه ومحاضراته.

وللشيخ أيضًا أعمال منظومة، منها قصائده وأشعاره المسجلة والمكتوبة، وكثير منها من الشعر الإسلامي الذي ينمُّ عن حسه الديني وذائقته الإيمانية، وسيأتي الكلام عن أشعاره وذكر نماذج منها قريبًا.

---

(١) أفاده الشيخان: أسامة العمري، ومحمد النهدي.

شعره

كان الشيخ النَّهاري رحمه الله شاعرًا مطبوعًا، يقول الشعر دون تكلُّف، وله فيه مَلكةٌ تُسَهِّل عليه قول الشعر لتضلُّعه من علوم اللغة، وله في ذلك قصائد حسان، من ذلك «قصيدة في مدح الدَّعوة السلفية»، ألقاها في مسجد عباد الرحمن عام ١٤٢١هـ بحضور شيخنا الشيخ الدكتور يوسف الدخيل رحمه الله، وقد استحسنها منه، واستعاد إنشادها مرة أخرى[(١)].

ومن ذلك أنَّه حينما أنهى شرح «كتاب التَّوحيد» للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كتب قصيدة في ختم «كتاب التَّوحيد»، والثناء عليه، وعلى الشيخ الإمام، مع ذكر خُلاصة ما حواه كامل الكتاب من مسائل مهمة[(٢)].

ومما وقفتُ عليه مسجلًا بصوته رحمه الله[(٣)]:

نـــورٌ تـــلألأ في قلبـــي ووجـــداني ... أضـــاء عقـــلي، ســـقى روحـــي فأحيـــاني

نـــورُ التُّقـــى والهُـــدى والخـــيرِ أشـــعلَه ... كـــــلامُ ربِّي فَفَجَّـــرْ نَبْـــعَ إيـــــماني

لقـــد وجـــدتُ حيـــاةَ الخـــيرِ مشـــرقةً ... فيهـــا الســـعادةُ إذ عانقْـــتُ قـــرآني

وذقـــتُ لـــذة إيـــماني فطِـــرتُ عـــلى ... جنـــاحَ شـــوقي إلى رَوْحٍ وريحـــانِ

في جَنـــة الخُلْـــدِ أهـــوى العـــيشَ إنَّ بهـــا ... مـــا يُـــبهج الـــنفسَ مـــن حـــورٍ ووُلْـــدانِ

يـــا عاشـــقَ العـــيشِ في الفـــردوس هُـــبَّ إلى ... عبـــادةِ الله، فَـــارِقْ كُـــلَّ كســـلانِ

اهجـــرْ منامَـــكَ، صَـــلِّ الليـــل مُبـــتَهِلًا ... وارغـــبْ إلى الله في سِرٍّ وإعـــلانِ

أقبـــل عـــلى الله، أَخلِـــصْ في عبادتِـــهِ ... عِـــشْ في خضـــوعٍ وإخبـــاتٍ وإذعـــانِ

تعلَّـــمِ العلـــمَ، وانصِـــتْ في مجالســـهِ ... واشـــغل فـــؤادَكَ في ذكـــرٍ وقـــرآنِ

---

(١) أخبرني بذلك الشيخ الدكتور أحمد بن حمد جيلان.

(٢) أفاده الشيخ عبد الله باوزير.

(٣) الشكر للشيخ محمد النهدي الذي سجل الكثير من دروس الشيخ وخطبه، أعانه الله على نشرها، ويسر له مَن يُعينه على ذلك.

رابـــطْ هُنـــا في بيـــوتِ الله واعمُرَهَـــا ... عَلِّـقْ بهـا القلـبَ، أرغـمْ كـلَّ شـيطانِ
اهـــربْ إلى الله تحـــظَ بالنَّجـــاةِ، ولا ... تصـحبْ مِـنَ النـاس ذا سُـوءٍ وعِصـيانِ
بَـــادِرْ إلى الله تَلـــقَ كُـــلَّ مَكرمـــةٍ ... في جَنَّـــةِ الخُلْـــدِ في خـــيرٍ ورضـــوانِ

ومما قاله الشيخ أيضًا:

أصـــلُ العبـــادةِ إن أردتَ ورُوحُهـــا ... صِـــدقُ المحبَّـــةِ منـــكَ للـــرَّحْمنِ
فتكـــونُ عنـــدكَ فـــوق كـــلِّ محبـــةٍ ... وبهـــا تـــذوقُ حـــلاوةَ الإيـــمانِ
وتُـــحبُ في الله الـــذين يُحِـــبُّهم ... مـــن كُـــلِّ ذي فضـــلٍ وذي إحســـانِ
الأنبيـــاءَ وحـــاملي مِـــيراثِهم ... أهـــلَ التُّقـــى والخـــيرِ والعِرفـــانِ
فمحبـــةُ الله العظـــيمِ عبـــادةٌ ... ومحـــبةٌ في الله قـــسمٌ ثـــانِ
ومحبـــةُ الأنـــدادِ شركٌ فـــاحترسْ ... فالشـــركُ يُـــردي المـــرءَ في النِّـــيرانِ
ومحبَّـــةُ الأمـــرِ المُبـــاح عبـــادةٌ ... إنْ وُجِّهـــتْ للخـــيرِ في إتقـــانِ
وتكـــونُ إثـــمًا إن أُرِيـــدَ بهـــا الخَنَـــا ... إذ يُســـتعانُ بهـــا عـــلى العِصـــيانِ
كمَحبَّـــةِ الأمـــوالِ والأولادِ والْـــ ... أزواجِ والأصـــحابِ والإخـــوانِ

وكان الشيخ رحمه الله ربَّما داعب طلابه وأصحابه ببعض الأبيات الأخوية التي يُنشئها لمناسبة حدثت، من ذلك أنَّ الشيخ كان له موعد في المستشفى لإجراء بعض الفحوصات الطبية على أن يكون صائمًا، فوصل متأخراً، وظهر عليه التعب والإرهاق في أثناء ذهابه للمستشفى، فاستأذن مرافقه من المستشفى أن يرجعوا لهم في اليوم التالي؛ لأنه قد يطول انتظارهم، فوافقوا على أن يكون حضورهم مبكرًا، ولما خرجا من المستشفى قصدا مطعمًا من المطاعم الشهيرة فأفطرا فيه، فكتب الشيخ مداعبًا مرافقه (مرفقة الصورة بخط الشيخ):

تبـــاركَ ربي، رحلـــةُ اليـــومِ أثمـــرَتْ ... فطـــورًا جميـــلًا بعـــد طـــولِ صـــيامِ
أتـــى الفـــولُ والمعصـــوبُ أغـــلى هديـــةٍ ... وقامَـــا بطـــرد الجـــوع خـــيرَ قيـــامِ
مضى ـ الجهـدُ والإرهـاقُ واتَّسـم الهنـا ... يـــدومُ لـــك الإحســـانُ خـــير دوامِ
بصـــحبة ذي صـــدقٍ فبُـــورِكَ صـــالحٌ ... وبلَّـــغَه الرحـــمـــنُ كـــلَّ مـــرامِ

وأســـــأل ربـــــي أن ننـــــال جـــــوارَهُ ورؤيـــــتَهُ فـــــضلًا بـخـــــير مـقـــــامِ[١]

هذا ما وقفتُ عليه، ولا شكَّ عندي أنَّ هناك عشرات القصائد والمقطوعات التي نظمها الشيخ، حتى ذكر لي بعض طلابه القدامى أنَّهم سمعوا منه كثيرًا من شعره، ولكنهم لم يحرصوا على كتابته أو اقتنائه، لعدم إدراكهم أهمية ذلك، ومع كثرة قصائده ومقطوعاته إلَّا أنِّي لم أقف عليها مع الأسف الشديد، وبلغني أنَّ أحد طلابه جمع في كناش كثيرًا من أشعاره، ولكن لم يتيسَّر لي تحصيله منه[٢].

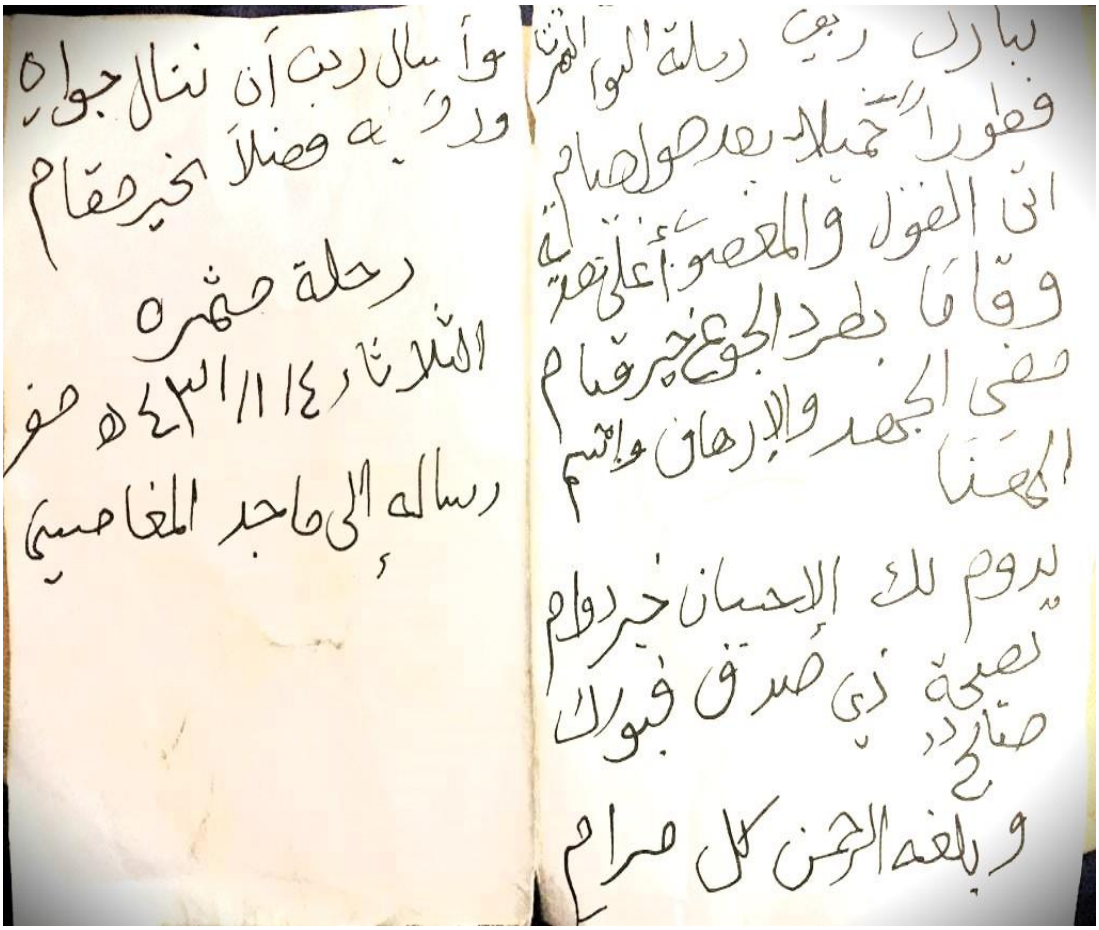

(١) أشكر أخي الشيخ ماجدًا المغامسي الذي أرسل لي صورة هذه الأبيات بخط الشيخ، وقد عنونها الشيخ بـ«رحلة مُثمرة»، وأرخها في «الثلاثاء ٤/ ١/ ١٤٣١هـ».

(٢) يسَّر الله جمع ديوان له، فشعره في الإسلاميات والدَّعوة والتَّوحيد كثير.

عائلة الشيخ

تزوَّج الشيخ رحمه الله مرتين، وقد تُوفِيت زوجته الأولى في حياته بمرض أصابها، وقد تأثَّر الشيخ بموتها تأثُّرًا كبيرًا مع صبره واحتسابه، ولَمَّا دفنها دعا لها، وأثنى عليها خيرًا، وأنه راضٍ عنها تمام الرضا، وأنها كانت له نِعم الزوج، وأحسنت إليه في حياتها، ووقفتْ معه في أصعب الأمور، وهي مَن حثَّه وزوجه بالثانية.

وكان له من الأولاد أربعة أبناء: عبد الرحمن، وخالد، ويحيى، وحسن، وثلاث بنات.

تأويل الرؤى

كان الشيخ عبد الله من المبرَّزين في تأويل الرُّؤى، وهو ما ينتظم به في سلك مدرسة ابن سيرين رحمه الله، آيةً فيه، وكان بعض الأعيان والأمراء وأئمة الحرمين يقصدونه لتعبير رؤاهم، وله في ذلك عجائب وغرائب، وقع لي شيء منها وعاينتُه.

وكانت له عادات وآداب حسنة في التَّأويل، قل أن تُوجد في كثير من المعبرين اليوم؛

منها: أنه إذا عُرِضَ عليه من الرؤى ما لا يناسب ذكره، قال للرائي: «امش مع قدر الله، ولا تلتفت لما رأيت» مع تعليمه السُنَّة في ذلك.

ومنها: أنه إذا جاءه من يطلب تعبير رؤيا، وقصها عليه بين الناس وفيها ما لا يحب الشيخ أن يسمعه غير الرائي؛ أخذ بيده جانبًا وعبَّرها له، وأوصاه بما يقتضيه الحال، ولو جُمِعَت أخباره في ذلك لكشفت عن علمه في التَّأويل، وعاداته الحميدة فيه.

فمن ذلك:

أني أخبرتُه برؤيا رأيتُها، وهي أني دخلتُ المسجد الحرام وكان خاليًا، وبدأتُ أطوف بالكعبة وحيدًا، ولما انتهيت من الشوط الأول - أو الثاني - ظهرتْ في المطاف سياراتٌ فيها أشخاص، يطوفون معي وهم في سياراتهم، وبعد أن انتهيتُ من الطواف صليتُ وحدي خلف المقام، وانصرف أصحاب السيارات دون أن يصلوا، فقال لي: أنت مُقدِم على وظيفة شرعية،

وسيُزاحمك عليها أشخاص معهم علاقات وواسطات، ولكنك ستنالها بإذن الله تعالى، فكان كما قال.

وأخبرني أخي الشيخ فهد الصبحي قال: كنا مع الشيخ، فذكر أحد طلابه رؤيا في كسوف القمر، فأوَّلها الشيخ رحمه الله بموت عالم، وفي صباح اليوم التالي أُذِيعَ خبر وفاة الشيخ عبدالرزاق عفيفي رحمه الله.

ومما ذكره لي بعض طلاب الشيخ: أنَّه رأى في المنام الإمام أحمد بن حنبل في بيتهم، وعنده شخص يقرأ عليه الحديث بالإسناد: حدثنا فلان، حدثنا فلان...، فدخل الرائي على الإمام أحمد، وسلَّم عليه، فقال له الإمام أحمد: اذهب وتوضأ، وبعد أن توضأ دخل غرفة أخرى، ووجد فيها خادمة، فأراد أن يواقعها، فلما استيقظ ذهب للشيخ النَّهاري وقصَّ عليه ما رأى، وكان الرائي في تلك الأيام في اختبارات الشهادة الثانوية، فقال له الشيخ: تفسيرها أنَّك ستدرس في كلية الحديث الشريف، والخادمة دنيا تصيبها من هذا، أو نحو هذا.

ومما ذكره لي أحدُ أصحابنا: أن زوجته رأت أباها في المنام،

وكان معه في يده صحن كبير من الحلا (كيك)، لم تر أجمل منه وأذاقها منه قطعة صغيرة في غاية اللذة.. ثم ذهب..

ثم جاءها مرة ثانية ومعه صحن مثله، ولكنه أصغر منه قدر نصفه، ولم يعطها لتذوق منه.

فعرض رؤيا زوجته على الشيخ، فسأله: هل والدها متوفى؟ فقال: نعم، قال: وهل مضى على وفاته سنتان؟ قال -وقد دهشه أسئلة الشيخ التي وافقت الواقع دون علم مسبقٍ به-: نعم، فقال الشيخ: إنها كانت مجتهدة في برها لوالدها بالدعاء والصدقة ونحوها في السنة الأولى اجتهادًا عظيمًا، ثمَّ إنَّه أتاها ما يشغلها في السنة الثانية وضعف اجتهادها في البر؛ فهو دعوة لها إلى العودة إلى سابق برها، وكان ما قال الشيخ هو حقيقة الحال.

ومما ذكر لي منها: أنَّ امرأةً ذكرت للشيخ أنها رأت في المنام أنها في غرفة نومها، ومعها نساءٌ

متغطيات يتحدثن ولا ترى وجوههن، تسمع أصواتهم ولا تراهم، وبينما هي كذلك إذ دخل ثعبانٌ أسود فصرخت واستيقظت من نومها، فنصحها الشيخ بأن تتقي الله، وتترك مكالمة الرجال بالهاتف.

ومما ذُكر لي منها: أنَّ امرأةً رأتْ في السماء قمرين، فأولها لها أنها تلدُ ولدين ويَعُمُّ نفعمها.

وغير ذلك كثير من الأخبار في تأويل الرؤى.

تلاميذ الشيخ

أمضى الشيخ رحمه الله أكثر من ٣٥ عامًا في التدريس في مسجده، إلى جانب تدريسه في مدرسة الشيخ ابن باز رحمه الله، وأخذ عنه كثيرٌ من طلاب العلم، وتتلمذ عليه كثيرون من الرجال والنساء، وليس المقام مقام حصرهم وتعدادهم، وقد تسنَّم بعض طلابه اليوم مناصب مؤثرة، ولهم تأثير كبير في أعمالهم وتعاملاتهم، وهم مُتميزون في أخلاقياتهم وحسن تعاملهم، ويُرجعون الفضل في ذلك إلى الله تعالى، ثم إلى ما أخذوه عن الشيخ من سَمته ودَلِّه وهديه قبل علمه.

ومن أبرز تلاميذه الذين عرفتهم – على غير ترتيب –: أبو عبدالله الجيلي السوداني (توفي في أول شعبان ١٤٤١هـ)، وعبد الله باوزير، وحميّد العوفي، وشعيب الجهني، وأبو عاصم محمد باكوبن، وفيصل وأسامة وفؤاد أبناء سعود العَمري، وأحمد العريشي، وعبد الله زاهر، ومحمد المالكي، وعبداللطيف الحكمي، وخالد شومان، ومحمد رضا عبدالغني، وأحمد بن عمار السلمي، وجعفر بن حسن الإيرتيري، وحسن بن علي الحدادي، وخالد حفناوي، وعبد الرحمن بن عبدالله الشمراني، وبلغيث القرني، ومحمد سالمين النهدي، وفهد الصبحي، وأحمد حسن صالح (توفي ٦ شعبان ١٤٢٦هـ)، وزبن الله بن عبدالله أبو زيدة (توفيا ٦ شعبان ١٤٢٦هـ)، وعلي بن عبدالله أبو زيدة، وماجد المغامسي، وفواز حَنَّان، وأحمد بن حسن بن صالح الزهراني،

وهادي الأسمري، وعادل بن عبده الغروي (توفي ١٤٣٢هـ) [١].

مرض الشيخ ووفاته

أُصِيبَ الشيخ بجلطة في القلب، فنقل إثر ذلك إلى مستشفى الملك عبد العزيز بجنوب جُدة، ثم نقل إلى مستشفى جامعة الملك عبد العزيز لحاجته إلى العناية المركزة بعد تقرير الأطباء لذلك، ثم وجَّه صاحب السمو الملكي الأمير أحمد بن عبد العزيز – وزير الداخلية حينها – بنقله إلى مستشفى القوات المسلحة، وعندما قرر الأطباء أن يُجروا له عملية قسطرة وجدوا لديه نزيفًا، فأوقفوا عملية القسطرة وأجروا له المزيد من الفحوصات، واكتشفوا أن لديه ورمًا غير حميد، فصبر الشيخ واحتسب، وسلم أمره لله تعالى، وقرر الأطباء نقله إلى مستشفى الحرس الوطني بجدة لمعالجته بالعلاج الإشعاعي، فنُقل إليها، وبدأ في العلاج الإشعاعي إلى أن وافته المنية صابرًا محتسبًا رحمه الله، وقد توفي في اليوم السابع من ذي الحجة سنة ١٤٣٣هـ، وصُلِّيَ عليه في جامع الثنيان بحيِّ الصفا، ودُفِنَ في مقبرة حيِّ الأجواد بجُدة وكانت جنازته مشهودة وحضرها جمٌّ غفير من طلابه ومحبيه حتى ازدحم الجامع والمقبرة.

وقد اختيرت مقبرة الأجواد وهي بعيدة وغير مشهورة مع وجود غيرها أقرب منها وأشهر؛ لأنه أوصى أن يدفن في مقبرة فيها لحد حرصاً على السنة لذا اختاروا مقبرة الأجواد.

وكان الشيخ قد سَلَّم أحد طلابه الخاصين ورقة فيها الديون التي عليه ومبلغاً ليقوم بتسديد الدين، وقد سُدد الدين ولله الحمد.

مات رحمه الله محمود السريرة، مُتحسفاً على فقده، أمضى حياته في طاعة الله وإرشاد الناس الى الخير وتعليمهم ما ينفعهم، مع بذل الخير للناس.

رحم الله الشيخ عبد الله النَّهاري، وغفر له، وتجاوز عنه، وأسكنه فسيح جناته، وبوَّأه منازل

---

(١) ذكرتُ أبرز من أعرفهم، أو بلغني عنه أنه منهم، ومن تذكَّر أحدًا من طلابه فلعله يفيدني به مشكورًا.

الصِّديقين والشهداء.

هذا، وإني لأتقدم بالشُّكر الجزيل لكلِّ من أعانني في جمع هذه السِّيرة، وأمدني بشيء من أخبار الشيخ، وأسأل الله تعالى أن يجعل ذلك في موازين حسانتهم، ولا يفوتني أنْ أكرِّر طلبي ممن ألمَّ بشيء من أخبار الشيخ أو أشعاره أو مكتوباته – مما فاتني تدوينه في هذه الترجمة المختصرة – أن يفيدني به لينتظم في سلك هذه النَّفائس المنقولة عنه.

انتهيت من جمع هذه الترجمة ليلة ٢٩/ من شهر رمضان سنة ١٤٤١هـ في مدينة جُدة أثناء حجر جائحة كورونا، ولا زلتُ أزيدُ فيها وأعرِضُها على طلابه وبعض المقربين منه، حتى ظهرت بهذا الجمع، الذي أرجو الله أني قد وُفقتُ بجمعٍ يُعَرِّف بالشيخ عبدالله النهاري رحمه الله، وما قام به من جهود علمية ودعوية.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّمَ وتسليمًا كثيرًا.

عصر الإثنين ١٥ ذي الحجة ١٤٤٤هـ